# التنشئة الجندرية داخل الأسرة الجزائرية المعاصرة، دراسة ميدانية لآليات التفريق ما بين الجنسين

# Gender education within the contemporary Algerian family, a field study of gender differentiation mechanisms

**بن علي نصيرة** [1]

**كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر n.benali@univ-mascara.dz**

تاريخ الاستلام: 2020/11/19 تاريخ القبول: 2020/11/21 تاريخ النشر: 2020/12/12

**ملخص:**

نحاول في هذه الدراسة أن نقوم بعملية استجلاء معالم التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية بغية التعرف على بعض الآليات المحددة لعلاقات اللامساواة، فهناك معالم الثبات والاستمرارية والتحول. وفي نفس الوقت لم تمس بنية علاقات النوع الاجتماعي بأي خدش ولم نتفك أو تنحل، لذلك قمنا باستقصاء تجليات الاختلاف بين الجنسين داخل الأسرة فهي تخدم النظام الاجتماعي بدءا من تصورات الجماعة للذكر والأنثى، وتظر لنا هذه التجليات من خلال ثبات واستمرارية بعض الممارسات الطقسية.

**كلمات مفتاحية:** الأسرة، النظام الاجتماعي، النوع الاجتماعي، الطقوس، الثقافة الأبوية

**Abstract:**

In this study, we are trying to carry out a process of elucidating the features of social upbringing within the Algerian family in order to identify some specific mechanisms of inequality relations, as there are features of stability, continuity and transformation. At the same time, the structure of gender relations was not affected by any scratches, nor did we break or dissolve, so we investigated the manifestations of the difference between the sexes within the family, as they serve the social system, starting with the group's perceptions of the

---

[1] المؤلف المرسل:

male and the female, and these manifestations show us through the stability and continuity of some ritual practices.
Key words: family, social order, gender, rituals, patriarchal culture

## 1. مقدمة:

يهدف هذا المقال في البحث عن دور الأسرة في تنظيم علاقات النوع الاجتماعي وذلك من خلال المخيال الشعبي إذ أن علاقات بين الرجل والمرأة كبناء اجتماعي ما زالت تابعة للثقافة الأبوية من خلال تجنيد جملة من الآليات التي تحافظ على النظام الاجتماعي، وتتجلى لنا هذه الأخيرة كمصادر مهمة تم توظيفها من طرف الطالبات الجامعيات في خطابهن لبناء تصوراتهن الاجتماعي و بناء على ذلك تندرج دراستنا في المقاربة الكيفية لفهم عمق المعاني المتواجدة في الميدان، حيث حاولنا استخراج الظواهر الخفية من خلال خطاب الشابات داخل الجامعة باعتبارهن نساء الغد لذلك طبقنا المنهج السوسيو أنتروبولوجي لدراسة الموضوع. وتدور إشكالية البحث في السؤال المركزي: كيف تحدد العلاقات بين الجنسين داخل الأسرة الجزائرية؟

و كانت الفرضيات كالتالي:

تحدد العلاقات بين الجنسين داخل الأسرة الجزائرية من خلال إعادة إنتاج جملة من الآليات التي تحافظ على تراتبية النوع .

1-تعمل الأسرة على اعادة انتاج آليات التفريق ما بين الجنسين من خلال التنشئة الجندرية على الذكورة والأنوثة.

2-تحافظ الأسرة على بعض طُقوس من خلال عملية التنشئة الجندرية.

و من الضروري الإشارة إلى مجتمع بحثنا والذي يتكون من 22 مبحوثة، 14 مبحوثة من الأمهات الماكثات في البيت و08 عاملات بمنطقة تيزي-معسكر، ولقد تمت هذه الدراسة الميدانية في الفترة الزمنية ما بين أكتوبر 2015 إلى غاية مارس 2016، كما اعتمدنا على الملاحظة المباشرة، ومقابلة نصف موجهة. ومعظم نساء عينة بحثنا ماكثات في البيت.

## 2. تحديد المفاهيم

### 1.2 الأسرة:

تعتبر الأسرة المؤسسة الأولى التي تعيد إنتاج العلاقات والقيم الأبوية من خلال التمييز بين الجنسين، أي التفريق بين الذكر والأنثى في الحريات والمسؤوليات والامتيازات، وفي تباين المعاملات، وتعرف الأسرة الجزائرية التقليدية بأنها أسرة ممتدة تجمع شمل عدة أسر مصغرة تحت لوائها، كما أنها أبوية الأب أو الجد، وهو القائد الروحي للجماعة العائلية وينظم فيها أمور تسيير التراث الجماعي، وله مكانة هامة تسمح له بالحفاظ على تماسك الجماعة. و هكذا تتضح لنا الأبوية كمقولة اقتصادية اجتماعية تشير إلى مجتمع تقليدي وسابق على الحداثة، قد اختزلت لنا علاقات حياتية بين الرجل والمرأة، أو بين الأب وأبنائه أي كلّ تجليات الحياة الأسرية اليومية (شرابي، ه، 1993: 49).

### 2.2 التنشئة الاجتماعية

تعرف التنشئة الاجتماعية حسب **Guy Rocher** عملية مهمة لبناء الفرد من خلال تأثير عليه ليكتسب ويتقبل معتقدات و كل الممارسات المرتبطة بقيم ومعايير مجتمعه، انها سيرورة لاستخدام طرق العمل والتفكير الخاصة بمجتمع ما التي يعيش فيه الانسان (Guy Rocher, 1968:.132)

### 2.3 الجندر

هو ترجمة لكلمة النوع الاجتماعي و يركز هذا المفهوم على علاقات القوة والفروقات بين المرأة والرجل، وتأثير ذلك على الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، كما يهتم النوع الاجتماعي بدراسة الفروقات بين الجنسين على أسس ثقافية واجتماعية، و ليس على أساس بيولوجي، أي تحديد الأدوار الاجتماعية للجنسين (أبو بكر.أ، شكري.ش، 2002: 103).

### 3. أهمية الطقوس في احياء قيم التراتبية الجندرية

في البداية ينبغي لنا التطرق لماهية الطُقس، وأصل هذه الكلمة بالفرنسية **rite** تعود إلى مفردات هند الأوروبية **indou européen** الشكل الأول **rta** والتي توجد في **rigveda** تعاد المهمة التي تستعمل لاحترام قوانين كونية كأمر مفروض **(Jeffrey. D, 1998 : 13)**، بينما تعرف النظرية الدوركايمية الطُقوس كركيزة اجتماعية **les rites comme support socio affectif** ، إنها قواعد سير التي تبين كيف يجب على الإنسان أن يتوافق مع الأشياء المقدسة **(Durkheim.E, 1912,1990 : 56)**

و تلعب الطُقوس والشعائر دورا هاما في حماية الحياة من خلال تكرارها، حيث ينظر إليها حسب **فان دارلوييه** بأن الشعائر هي أسطورة في فعل، ولقد ربط **Roger Bastide** بين الطقس والأسطورة برباط جدلي ، فالأولى هي شرط للثانية تساعد على إحيائها واستمرارها، حيث يرى **بأن** كل الشعائر هي إحياء لذكرى الأسطورة، إذ هي التي تؤسسها وتبينها وتفسرها **(Jeffrey. D, 1998 : 57)** ، بينما يعرفها **Marcel Mauss** بأنها تعديل لحالة الشخص **(Jeffrey. D, 1998 : 13)**

و للطُقوس مفهوم ثقافي **une conception intellectualiste**، فقد أشار لنا **Jean Maisonneuve** في هذا الخصوص بأن **Claude Lévi-Strauss** ، قد قام بدراسة الطُقوس في العديد من كتبه، مقدمة في إسهامين رئيسيين، الأول يتمحور في دراسة لنظرية عامة مرتبطة بموقف ثقافي محض، أما الإسهام الثاني يدرس تفسير فعالية بين الواقعة والرمزية للشعائر **(Maisonneuve. J, 1988 :102)**

ونفس الشيء مع **Pierre Bourdieu** فقد بين بوجود ارتباط ما بين الطقس والتصور، حيث أن الثانية شرط لفعالية الأولى، وذلك من خلال ما قام به **Van Gennep** في تحليله لطقوس المرور.

بينما يرى **Maertens.J.T** مثل الأنتروبولوجي الأمريكي **Victor Turner** بأن الطقوس كلها مخصصة لتقليص القلق الحياتي وتسمح بمواجهة المجهول والأخر **(Maisonneuve. J, 1988 :118)**.

فكلمة طقس تعني جملة من الممارسات التي تحترم الأوامر والنواهي، إنها مؤسسة مضبوطة من طرف الفاعلون الاجتماعيون سواء كانوا أبطال الأساطير أو الرسل في مجتمع معطى **(Jeffrey. D, 1998 : 54)**.

وبناءا على ذلك نلتمس مدى الارتباط المتين بين *الطُقس* والأسطورة، التي تساهم في إعادة إنتاج المنظومة القيمية، على حد قول **Georges Pollitzer** إذا أردنا خلق نموذج جديد للإنسان، فيتم ذلك عن طريق أسطورة جديدة له **(Pollitzer. G, 1973: 128)** .

و يرى **Alfred Reginald Radcliffe Brown** أن وظائف الطقس تتلخص في الأفعال التالية تأسيس، تثبيت، تقوية، تنسيق، تفريق، تحويل، إعادة تنشيط، وهناك بعض الباحثون المعاصرون الذين تأثروا ب **Emile Durkheim** والذين أكدوا على الجانب الاندماجي والهوية *للطُقوس* وبرهنوا على أن *الطُقوس* تمتن العلاقات، بينما عند **Beidelman** فهي تسوق و توجه المشاعر القوية وتضيء النزعات الاجتماعية، أما **Geertz, Turner** فهي تقوي الأفكار لثقافة ما، وتحدد الأدوار الاجتماعية عند كل من **kuper** و**Nadel** و **Rappaport** ، وعليه فان *الطُقوس* تعمل على تركيب وإعطاء ديناميكية للسلوكات حسب ما يتفق عليه كل من **Shils, Belah, Verba** ، كما أنها تساهم في تمتين السلطة عند **Wilson**.

إن الغاية من وراء دراسة الطُقوس المستخدمة داخل الأسرة بغية تفسير وظائفها كإحدى آليات المفاضلة بين الجنسين، لأن المجتمعات تنمي الاختلاف بين الجنسين مثلما تتم العناية بالنباتات والأزهار، وذلك بطريقة فنية يتم فيها تنويع الطريقة والأسلوب **(أجاسينسكي. س،2011: 27)**، فرغم التحولات التي عرفتها المجتمعات الإنسانية بصفة عامة ومجتمعنا الجزائري، مازالت بعض الطُقوس الأسرية مستمرة رغم سياسة تمكين النساء الظاهرة، لذلك ارتأينا تناول الطقوس حسب محدد الجنس.

### 1.3 العنوان الفرعي الأول:

### طُقوس ولادة الذكر كإحدى آليات تحديد علاقات النوع الاجتماعي:

إن تفضيل إنجاب الذكور يرجع في الأساس إلى أن الذكر هو الذي يحافظ على استمرار اسم العائلة، ولذلك في المجتمع التقليدي كانت وما زالت في بعض الأحوال تبدأ هذه العملية قبل الزواج فهو مشروع مسطر ومدروس من طرف الأسرة الأبوية، من خلال اختيار الوعاء المناسب الذي يتشكل من خلاله الولد أي الزوجة المناسبة، وبعد الزواج تستخدم المرأة بعض الطقوس ليكون حملها ذكرا.

و لذلك يمكن الانتهاء إلى الدور الكبير للأسرة الأبوية في عملية التنشئة الجنوسية، حيث تعمل هذه الأخيرة بتكوين الولد وترسيخه بالمعتقدات من أجل غرس المنظومة القيمية في علو شأنه، ويستقبل بزغاريد وفرحة كبيرة فيفرح الأب بقدوم المولود الذكر، لأنه يحمل اسمه بعد مماته، لهذا تقام جملة من الاحتفالات بقدوم الولد في المقابل نجد شبه غياب لمثل هذه الاحتفالات عند قدوم البنت. إذن كما سبق الذكر، يقام منذ الولادة، اختلاف بين الصبي والبنت، فسلوك الأسرة يختلف بحسب جنس المولود الجديد، خصوصا إذا كان ولدا فيخص بما لا يحصى من الفرص. ومن خلال دراسة ميدانية حول فطام الرضع بالمغرب التقليدي للكاتبة **سومية نعمان جسوس**، فقد أشارت إلى رضاعة الصبي التي تبلغ عامين و شهرا **(نعمان جسوس. س، ت: حزل.** ع ، **2011 : 20)** ويحرص معظم الآباء عند قدوم الولد أن تقام الوليمة الشرعية التي تنحر فيها الذبائح **(محجوب. م، 2011: 115-116)** ، و هو ما يعرف بالعقيقة. وحسب معتقدات المجتمع أن حمل المرأة بولد يجعل وجهها جميلا بعكس حمل البنت الذي يأتي ثقيلا يغير من وجه الأم **(محجوب. م، 2011: 110).**

و بناءا على ذلك فان مثل هذه التمثلات الجماعية تقاس على معظم المجتمعات الإنسانية، فصعوبة الولادة دوما ترتبط بالأنثى كوجه شؤم حسب النظرة المجتمعبة، ولنا في دراسة **G.J.Witkowski** الموسومة تحت عنوان **تاريخ الولادات في كل المجتمعات** الصادر سنة **1889**، فمثل هذا الاعتقاد ارتبط بالكنيسة كمؤسسة دينية قبل عصر النهضة (**Belmont.)**

N, 1971:22، ومما تقدم نستنتج بتماثل ما بين المجتمعات في تقديس الذكورة، فالمولود كثيف الشعر يعتقد بأنه سيكون محظوظا وثريا مستقبلا، ومازالت هذه التمثلات سارية المفعول إلى غاية يومنا الحاضر **(Belmont. N, 1971: 40)**.

و لقد وضحت لنا المبحوثة **جميلة** فكرة ارتباط معايير اختيار المرأة من أجل تحصيل الولد المستقبلي بدرجة الأولى حسب تمثلات الأسرة الأبوية لقول: ( ***بكري كان الاختيارعلى البنت السمينة وصاحبة البشرة البيضاء"*** **(مبحوثة، 34 سنة، متزوجة).**

فإذا كان في الماضي الغير البعيد، تختار المرأة من طرف الأسرة الأبوية وفق معايير أساسية كتوفر الجمال، الصحة، ومن عائلة حسنة، أصبح اليوم في بعض الأحيان يختار الرجل شريكة حياته لوحده، مما أدى إلى ظهور الأزواج (الكوبل**couple**) المتقاربين في السن، وقد يكون سن المرأة أكبر من سن الرجل، إذ أنها قضت حياتها في التعليم ثم العمل، وهذا قد يسبب بعض المشاكل كالتأخر في الإنجاب.

يعتبر التراث الثقافي الجزائري خزان من المعاني والمعلومات، من بينها مواصفات ومميزات التي تعرف بها المرأة المنجبة من غير المنجبة، فتعرف في تصور المجتمع الجزائري حسب قواعد البنية البطريركية بناءا على جملة من المواصفات كالسن، شكل الجسد الأنثوي من خلال التداوير الأنثوية كرمز للخصوبة، شكل قدم المرأة الذي من خلاله تعرف مصداقية و صلاحية المرأة أو غير ذلك فيقال عنها ***مرا ربوحية*** أو غير ذلك بمعنى ***مرا مشي ربوحية*** بالإضافة إلى حركة المرأة كل هذه العناصر يحكم على المرأة بأنها ستكون امرأة منجبة ***مرا ولادة*** حسب المخيال الشعبي، ننوه مرة أخرى كل هذه العناصر هي حسب تصورات السلطة الأبوية التي تؤمن بهذه العناصر كسلطة رمزية وكمحفز للخيال.

و من جهة أخرى يتضح لنا علاقة النظام الأبوي، في أفضلية الذكر على الأنثى، والتدخل في العلاقات ما بين النساء والرجال، فالغاية من وراء وضع معايير الجمال والصحة في اختيار المرأة مسبقا لا تعني المرأة بقدر اختيار الولد المستقبلي، بتحديد الإتيان بالذكر السوي، بينما ولادة الأنثى يبقى آخر مطمح، وهذا حتى في نظر المرأة نفسها. ولذلك ألحت الثقافة

الأبوية على أهمية الاختيار الزواجي من نفس الزمرة، كأن يكون من نفس النسب والأصل الاجتماعي، فهذا الحرص على تحصيل الولد السوي يفسر هاجس الخوف الذي سيطر على الجماعة، فجعلها تتشدد في انتقاء المرأة المطلوبة للولد، وتحذر الرجل من عواقب وضع شهوته في غير موضعها **(قرامي .أ، 2007: 139)**.

و مباشرة بعد الولادة الطبيعية تنبثق من الثقافة ولادة اجتماعية تشمل جملة من الطُقوس، كإحدى آليات دمج الولد في المجتمع، وكوسيلة لتنظيم علاقات بين الناس ونظام الكون. ويصوغ المجتمع انتماء الأفراد حسب محدد الجنس ذكورا وإناث، فلا يولد الطفل بوعي مسبق لاختلاف والمفاضلة بين الجنسين، بل بالتدرج وعلى مراحل حياتية. ومن تجليات التفريق بين الجنسين، جملة من الطُقوس والممارسات الاحتفالية التي تعمل على بناء الذكورة مثل العقيقة والختان، أما المشيمة التي يولد بها الرضيع ارتبطت بها جملة من الشعائر و الطُقوس حسب محدد الجنس، حيث يتم دفنها في التراب بينما في المجتمع القبائلي تحتفظ الأسرة على هذه الأخيرة و لا ترميها بل تدفن في حديقة البيت من طرف الولد تحت إشراف عائلته أو والده، ووظيفة هذا الطُقس لإعادة إنتاج الذكور داخل العائلة **M, (Devulder.1957 :351)** .

و مما تقدم تلعب مثل هذه الممارسات على تجديد وإحياء التصورات، فهي تعمل بالوساطة مع المقدس، وبالمصالحة مع القوى فوق الطبيعة بمشاركته في صنع المعنى والقيمة للأشياء و الأشخاص. فالطُقس يرسخ مبادئ الحياة المهمة من أجل مشركة الشخص وتصنيع شخصية ذاكرة الجماعة، كممارسة محترمة يحمل الطقس على تحفيز لعمل الخير **(Rivière. C,1997 : 85)**، ولعلى الحاجة إلى طُقوس الولادة والاحتفاء بالمولود أكثر من البنت تشي برغبات واستيهامات ومخاوف معبرة عن محاولة المجتمع الذكوري إبراز تفوقه على الأنوثة التي امتلكت وحدها القدرة على الإنجاب **(قرامي .أ، 2007: 433)**. فالاختلاف بين الجنسين، يتماثل مع ما هو موجود بين الطبقات، الآثنيات الأصول، فهو يكبر وينمو **(Falquet. J, 2015 :127)**.

**وظيفة طُقس الختان وإعلان عن بناء الذكورة**

و تتميز الطُقوس المرتبطة بالولد بالظهور، فهي معلنة لأنها قائمة على أساس تصور حسب المنظومة القيمية بأنها مقدسة، لذلك تستخدم الأسرة الأبوية طُقس الختان لبناء الذكورة و إضافة عنصر جديد، وهو عبارة عن إعلان لبناء هوية دينية لهذا المولود، يمثل هذا الطُقس إحدى آليات التفريق بين الجنسين، وهو في تصور الثقافة الأبوية طُقس ديني مقدس، لأن الطُقس هو فعل تقليدي فعال يعمل على الأشياء المقدسة، وهكذا فإن ميزة الطُقوس الدينية، هي أنها تعطي وتعمل حصرا لطبيعة مقدسة **(Lombard. J,1997 : 232)**. بينما في بعض المجتمعات بالمشرق العربي التي تستخدم طُقس الخفاض (ختان البنات) كانت ومازالت تقام هذه الممارسات في سرية تامة وبدون احتفالات.

إن تكرار الممارسات الاحتفالية للختان، لها وظيفة مهمة والمتمثلة في إعادة تعزيز مكانة الذكور في العائلة، فالختان يعني إضافة ذكر جديد إلى ذكور العائلة، أو أن هذا الذكر سيكون عنصر قوة للعائلة في المستقبل **(شعيب .ع وآخرون، 1998: 173)**. وبالتالي نستنتج كيف توظف الثقافة الأبوية المقدس والديني في خدمة الذكورة وتعمل على إعلاء من شأن الرجل، بحيث تتوج بجملة من الاحتفالات و الطُقوس التي يعتقد في التصور بأنها دينية في المقابل تتميز الطُقوس المرتبطة بالأنوثة بالتستر والإخفاء، وهي ليست دينية إنما دنيوية **profane**.

**3-ظاهرة تستر الطُقوس الخاصة بالبنت وبناء الأنوثة**

كما سبق الذكر تقام جملة من الطُقوس والشعائر الاحتفالية بقدوم الولد في المقابل نجد شبه غياب لمثل هذه الاحتفالات عند قدوم البنت. فهناك اختلاف بين الصبي والبنت، فإذا كان طُقس المشيمة يدفن مع الولد من أجل إعادة الإنتاج الذكور، فإننا نلاحظ بتغير هذا الطُقس مع حضور الأنثى، حيث يرمى بالمشيمة فوق سقف الدار لتلتقطه الطيور، وذلك عندما تصبح الفتاة في سن الزواج **(Devulder.M, 1957 :351)** . فوظيفة هذا الطُقس يبين منذ اللحظة الزمنية لحضور البنت بأن مكانها متحول وغير ثابت "***بلاصة place البنت***

***خاوية، أش ما قعدت تروح"*** ، فمهما بقيت في الدار فإنها مغادرة ويبقى المكان الدائم لها هو بيت زوجها. وانطلاقا من ذلك يتضح لنا كيف ساهمت الثقافة الأبوية على إبراز اللامساواة في معاملتها مع الجسد ومن جهة على ضبط محددات الذكورة والأنوثة.

قد تكون مثل هذه الممارسات الطقسية قد ضعفت جراء التحولات الكبرى التي عرفها مجتمعنا الجزائري بسبب ظاهرة النمو الحضري سواء قبل الاستقلال أو بعده، ولكن رغم ذلك بقيت بعض ملامح لمثل هذه الطقوس في بعض المناطق بالجزئر، بغية المحافظة على بعض القيم المجتمعية المرتبطة بمسألة المفاضلة مابين الجنسين. فسلوك الأسرة يختلف بحسب جنس المولود الجديد ، حتى في الرضاعة وهذا ما أشارت اليه سمية نعمان جسوس حيث يبلغ رضاع الصبي عامين وشهرا، واقتصار مدة البنت على عامين إلا شهرين **(نعمان جسوس. س، ت: عبد الرحيم حزل ، 2011 : 20)**.

كما تعتبر مرحلة الحيض عند الفتاة علامة لنهاية طفولتها وبداية بناء هويتها كامرأة **(Froideveaux-Metterie. C, 2015 :.286)** فتنتقل من مرحلة الطفولة إلى البلوغ، وكثيرا ما ترتبط هذه المرحلة بعدم الطهر حسب النظرة المجتمعية، فتبقى من الأمور المسكوت عنها فليس لها أدنى حق أن تظهر حالتها أمام عائلتها وتشتكي من مرضها ولكن ينبغي لها الصبر على الألم، ومن جهة أخرى لا يمكنها الإفطار علنية في شهر رمضان من باب الحياء حسب توجيهات التنشئة الاجتماعية، حتى في الخفاء يحرم عليها الأكل إلى أن تشبع ولكن تكتفي بقليل من الماء، فحسب معتقدات المجتمع الجزائري يعتبر من المحرمات، غير أن المرأة بعد الولادة والتي تضع مولودا ذكرا، تهتم الأسرة الأبوية بصحتها وغذائها، فقد لا تستحي وتأكل رمضان أمام الجميع بالمقارنة مع الحائض، والأغلب أن سبب اهتمام بطعامها هو من أجل صحة وحياة المولود، حتى تستطيع إرضاعه.

و من جهة أخرى نلاحظ أن الثقافة الأبوية قد بنت مبادئ الشرف وحماية عذرية المرأة منذ صغرها، ولذلك استخدم طُقس يعرف **بالرباط**، وحسب المخيال الشعبي فان البنت المربوطة هي امرأة محمية بقوة سحرية فوق الطبيعة. ولقد أشارت بعض الأمهات الى الدور الكبير

الذي لعبه الرباط لحماية شرف العائلة، وحسب تصريح مبحوثاتنا فان هذه الممارسة الطقسية نقصت وضعفت ولم تختفي بعد، فهناك بعض المناطق الريفية بالقرى مازالت تحافظ على استمرارية هذا الطُقس الرباط، على حد قول **نعيمة**، 35 سنة: كثيرا ما كنت أسمع بالرباط خصوصا في المناسبات الزواج" . (المقابلة رقم03، غير عاملة، متزوجة، 35 سنة)

إن طُقس الرباط له وظيفة تأمينية **fonction-sécurisante** فيحفظ الأسرة الأبوية كفاعل اجتماعي من القلق، ويعطيه شعور بالأمان، في المقابل نجد أنه يلعب دور بسيكولوجي في توليد شعور بالخطر وفقدان الأمان عند الفتاة المربوطة. انه يمثل رد فعل ضد الأخطار والتهديدات، فالوظيفة الأولى لأي ممارسة طقسية تكمن في دراسة الممنوعات (**Jeffrey. D, 1998 : 66** )، ومن جهة أخرى هذا الطُقس يؤدي إلى توليد طاقة « **fonction-dynamogénique** »، حيث يحمل في ذاته طاقة والمتمثلة في تحقيق أهدافه و تلبية الرغبات اللاشعورية (**Ruvière .C, : 86**) وهكذا تحافظ البنت على نفسها، فيصبح جسد المرأة، المصان كغنيمة شرعية لكي يتم من خلاله تبادل لرأسمال الرمزي بين العائلات التابعة للثقافة الأبوية(**d'Eaubonne. F , Sebbar. L, 1995 :215**)

**التنشئة الجندرية داخل الأسر الجزائرية:**

تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال منذ الولادة من خلال الطريقة التي تتعامل بها الأسرة الأبوية مع المولود الجديد سواء كان ذكر أو أنثى، وهنا يجب الإشارة إلى أن كل طرف من الجنسين يتميز بالخصوصية، و تلعب الأم مكانة هامة في تربية أولادها منذ مرحلة الطفولة المبكرة، فهي أول معلم، حيث تمدهم بمعلومات وأدق التفاصيل عن الحياة وما يدور حولهم لكي يستوعبوا القيم الجندرية.

**1-الأسرة والتنشئة على القيم الرجولية :**

يكتشف الولد أنه ينتمي إلى عالم الرجال من خلال إبعاده وخروجه من الفضاءات الأنثوية. و بالتالي يتعلم الطفل منذ الطفولة كيف ينسلخ ويبتعد عن عالم النساء ورغم ذلك فانه يشعر مبكرا بقيمته ومكانته في الأسرة بالمقارنة بالبنت التي تربى على خدمة أخيها .

و تعمل الأسرة على غرس المنظومة القيمية المتعارف عليها حسب الثقافة الأبوية في الطفل الذكر كالقوة والشجاعة وعدم الخوف، وتكون لغة الذكر مختلفة عن لغة الأنثى، فيربى على عدم الخجل لأنها صفة أنثوية، فلا مجال للعيب في كلامه خصوصا في الفضاء الخارجي، كوظيفة هجومية وردعية دفاعية. لذلك عندما يستخدم الولد كلمات السوء في خطابه اليومي لا يعاقب عليه بنفس درجة البنت.

و من جهة أخرى تعمل الأسرة الأبوية بمراقبة تصرفات وسلوك الولد، فلا يحق له مساعدة أمه في الفضاء المنزلي. ويواصل الأب تدريب ولده على القوة والمواجهة من خلال الألعاب الذكورية، فيتدرب على رفع رأسه والوقوف، لأن في "المجتمعات التي يسيطر فيها الرجال على النساء في مجالات الحياة العامة والخاصة يبادر الرجال بإعطاء حرية لأنفسهم أكثر من النساء في التواصل عن طريق لقاء العين بالعين" (جيدنز.أ، 2006 : 163-164). فكل هذه التدريبات في التنشئة الاجتماعية تأهله ليكون رجلا قويا فحلا، يدافع على بيته وأهله.

**2-الأسرة والتنشئة على القيم الأنثوية:**

تخضع تنشئة الأنثى لأوجه شتى من شروط تمييزية تهز ثقتها بنفسها إذ تخضع إلى نظام قيمي ذكوري فهي تعمل على التنشئة والتدريب بمختلف الممارسات الجنوسية، فتتعلم البنت مبكرا بأن المرأة لا يعترف بوجودها إلا من خلال دورها كأم وكزوجة حسب النظرة المجتمعية، ولذلك تتمركز أمنياتها منذ الصغر في الزواج وتكوين أسرة.

**1-2-التدريب على العمل المنزلي:**

أول شيء تدّرب عليه البنت هو ارتباطها بالفضاء المنزلي وعنايتها به بطريقة غير مباشرة، فمن خلال ألعاب الدمى (*العرايس*)، التي تتسم بالنعومة تتعلم الطفلة دور الأم وزوجة وتبادل الزيارات، فيكون دور التقليد هو الظاهر وبداية بناء هويتها الأنثوية.

فان التنشئة على الأنوثة، تطور لدى البنت فكرة ارتباطها بالفضاء المنزلي، من خلال تعليمها الأدوار التقليدية التي تناسبها كأنثى، وعند مدحها فيكون تغزلا في جمالها، أو ثناءا على ما أعدت من طبخ لذيذ.

و في هذا السياق تضيف لنا احدى المبحوثات **وهيبة**: "*أيام طفولتنا كانت البنات تنوب أمهاتها في العمل المنزلي من غسل وطبخ، وما زالت هذه العادات متواصلة ومن واجبي تعليم ابنتي، ولكن الأعمال المنزلية تبدلت وهي الآن بسيطة وسهلة"* ***عندما كنت طفلة، نغفل ماما في وقت القيلولة وأقوم بتحضير حلوى لتقديمها في القهوة، في المرة الأولى شعرت بخوف شديد، لكن تفاجئت من ردود فعل الوالدين، فرحوا كثيرا بما أنجزت، وقالوا لي بنتنا ساجية، تقدرغدوا ديرالدار*** " (المقابلة رقم 10، لا تعمل، متزوجة، 44 سنة).

تتعلم البنت من أمها مهارات متعددة في العمل المنزلي، فتتعلم بالمعاينة والمشاهدة جملة من المعارف، وتكتشف مع الوقت الدور الذي رسمه النظام الاجتماعي لها، فتصبح اليد اليمنى لأمها فتساعد، فمثل هذه الأعمال تغرس مبادئ الصبر، الطاعة والإذعان، لأن الأعمال تأخذ وقت طويل ولا تنتهي، يبقى العمل المنزلي متواصل باستمرار، وبدون انقطاع، ولا نهاية له.

لقد ساهمت الثقافة الأبوية بربط المرأة بالفضاء المنزلي، حتى لا تجد المرأة متسع من الوقت فلا تنشغل بأمور الشأن العام، ولذلك شبهت بالوحش (***الغولة***)، فهي سلطة تمثل عنفا رمزيا صامتا، له سلطة جذب المرأة لمجالها مثل قوة المغناطيس لقول المبحوثة **سعدية** :"***إذا درنا على قضيان الدار*** (تقصد العمل المنزلي) ***ما نديري والو، الخيمة غولة تأكل***" (المقابلة رقم08، غير عاملة، متزوجة، 27 سنة).

فالبنت تسخر منذ نشأتها على خدمة الرجل، فهي أقل مكانة من شقيقها لقول **جميلة** : ***"دايما البنت يطلب منها خدمة أخوتها الذكور، قبل زواجي كنت نتقاسم مع والدتي الأعمال لخدمة اخوتي من أكل وشرب وغسل ...الخ"*** (المقابلة رقم18، عاملة، متزوجة، 33 سنة) . كل هذا يساهم في اعطاء قيمة وثقة بالنفس عند الأولاد، ولذلك كثيرا ما يمارس الأخ سلطة على أخواته والمتمثلة في المراقبة وحماية الأتباع، ويجب التنويه بأنه يقوم بهذا الدور مهما كان سنه بالمقارنة مع أخواته البنات.

**2-2-شرف المرأة:**

تعمل الأم جاهدة لإيصال وصية عدم اللعب والاختلاط بالذكور وعدم الثقة في الرجل مهما كانت درجة القرابة، وعلى حد قول معظم المبحوثات بطريقة تهكمية أنه كثيرا ما كان يتردد على البنت فكرة "***بمجرد أن يلمس الرجل يد البنت تصبح حاملا***"، لذلك فطنت البنات منذ صغرهن على الحفاظ على أجسادهن، وبتحديد العذرية التي تعتبر رأسمال رمزي للمرأة مستقبلا ولعائلتها، فقد عاشت البنت هاجس الخوف والقلق من إمكانية فقدان العذرية التي تعتبر رأسمالها الرمزي.

**رابعا-قواعد التنشئة الاجتماعية للأسرة الجزائرية:**

و من القواعد المطبقة في الأسرة الأبوية كإحدى آليات تفريق بين الجنسين (قواعد الأخلاق و قواعد السلوك)، حيث يتم تطبيق هذه القواعد كسلسلة منظمة لجملة من الممارسات الاجتماعية تم المصادقة عليها من طرف الثقافة الأبوية لخدمة النظام الاجتماعي.

**1-قواعد الإلزام:**

ساهمت الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية على إلزامية طاعة الصغير للكبير، ومن جهة أخرى تنبذ فكرة التمرد، فلا يحق للطفل أن يسأل عن سبب ذلك، بل ينبغي عليه تطبيق الأوامر والنواهي، وإلا سيعاقب بالضرب، مما ساهم في إنتاج الخوف وقتل الإبداع. وينبغي لنا التأكيد أن إلزامية الطاعة شددت على البنت أكثر من الولد، باعتبارها تمثل شرف العائلة.

و يتطلب من الرجل حماية أتباعه وبتحديد النساء من خلال المراقبة والمعاقبة في حالة عدم الامتثال لأوامره ونواهيه، إلى درجة يصبح عنيفا لكي يحافظ على رجولته أن لا تخدش. لأن الأمر الإلزامي، مرتبط بحماية الرجل لشرفه وعرضه، ولكي يكون الفرد شريفا أمرا إلزاميا وله ثمن" (Carmel Cassar, 2005 :.77)

في المقابل تلتزم المرأة بدورها داخل الأسرة كحارسة للأسرة الأبوية من خلال إحياءها للعادات و التقاليد في تربية الأولاد، وبلدنا كباقي المجتمعات المتوسطية البطريركية مازالت تكرس ثلاث مسائل محددة للمجتمع، والمتمثلة في مراقبة جنسانية النساء باعتبارها ركن التي بنيت عليها استراتيجية النظام العشائري للهيمنة ثم إلزامية أن تعطى الأسبقية والأولوية للذكور على الإناث، أما المسألة الثالثة والأخيرة فتتمركز حول إلزامية تطبيق قانون الشرف **Le code de l'honneur du clan**

**2-2-قواعد الحشمة داخل الأسرة الأبوية:**

نشأت معظم الأمهات وفق هذه القواعد التي لا تقبل ولا تسمح للمرأة بالتحديق والتحدث و التبسم مع أي رجل كان. كما تحافظ المرأة على ارتداء ثياب محتشم يستر جميع أطراف جسدها، بينما التي لا تلتزم بذلك، فهي ضد معايير قواعد الحشمة، حيث كانت تعرف عند الأجيال السابقة بتسمية ***"العريانة*** بسبب عدم تغطية الرأس" عكس المرأة في المدينة التي لا تتنقل كثيرا، وعندما تخرج من بيتها ترتدي لباس رسمي كرمز للحجب، وهو ما يعرف ***بالحايك مع التنقيبة*** الذي يغطي كل جسدها، باستثناء عين واحدة لذلك "تبقى الحشمة **La Hishma**شيء مهم وقوي". **Charnay.J.P, 1965 : 20**

تعرف المرأة من خلال تطبيق قانون الحشمة في منزلة أقل من الرجل، سواء عند أبيها أو أخيها أو حتى زوجها، وحتى أمام العالم الخارجي، باستثناء عالم الحريم الذي يبقى عالما مغلقا **Charnay.J.P, 1965 : 20**.بينما حاليا حدث تغير في لباس المرأة وسلوكها من خلال التعاملات الاجتماعية مع الرجل وذلك جراء خروجها للتعليم وسوق العمل.

و لكن الواقع الاجتماعي يبين أن مسألة الشرف مرتبطة بالمرأة ولذلك يمنع الاختلاط. ولذلك يختلف مفهوم الشرف في المجتمع، باختلاف الأسر، فقد يكون بسبب الجاه، المال، الكرم ولكن المتفق عليه حسب تمثلات المجتمعات المتوسطية يرتبط شرف الأسرة بعذرية المرأة (Carmel Cassar, 2005 :.80).

و مما تقدم يتضح لنا كيف ساهمت الثقافة الأبوية ومازالت تساهم في تغيير ماهو موجود في الواقع الاجتماعي، من خلال مأسسة آليات العيب والحشمة، فلا ينبغي انتشارها والاعتراف بها، فرغم ظهور زواج الاختياري يبقى سجين وتحت سيطرة الثقافة الأبوية حتى بعد الزواج، و حسب المخيال الشعبي تبقى علاقات بين الرجل والمرأة مرتبطة بالحياء، وذلك باعتبار أن مجتمعنا مازال محافظا.

**2-3- قواعد المنع داخل الأسرة الأبوية:**

ترفض الأسرة الأبوية ظاهرة اختلاط الرجال مع النساء، لذلك تم تقسيم المجال الاجتماعي تقسيما جنسيا، مكان النساء المرتبط بالمجال الخاص في المقابل ارتبط عالم الرجال بالفضاء العمومي. ولقد ساهم المجتمع الذكوري الدي كان مرتكز بصورة عامة على الاختلاف الجنسي.

و يقسم الفضاء الأسري في المجتمع الجزائري كبقية المجتمعات العربية تقسيما جنسيا متطابق حسب موقع مركزية الاجتماعية والرمزية المتمايزة لأفضلية الرجل على المرأة. فالرجال يحتلون مكانا أعلى في المقابل تبقى المرأة مع صغارها في مكان أدنى من موقع الدار. و لذلك نجد ظاهرة حجب المساكن والشقق في المدن الجزائرية بواسطة أبواب وشبابيك حديدية في شرفة الشقق، بالإضافة إلى تغطيتها بستائر من القماش حتى لا يظهر ماهو بالداخل في الخارج. فمن العار والعيب أن تظهر المرأة من وراء النوافذ باعتبار أنها تمثل حرمة الرجل. حتى أن باب الأسرة لا يطل مباشرة على الفناء (حوش الدار)، حتى لا يرى ماهو موجود داخل الأسرة، وعند دخول الغرباء يستقبلهم إحدى رجال الأسرة عند فم دار بعد فتح الطريق بكلمة "*الطريق*".

و يظل الجسد الأنثوي أكثر اختراقا من قبل هذه السلطة مقارنة بالجسد الذكوري، وذلك بفعل حضور "الجسد الأنثوي" لعنف السلطة وآلياتها، وبفعل الالتزامات والحظر والتحريض والتهميش لدلك لا يسمح للبنت التنقل بمفردها إلى العالم الخارجي، خارج حدود بيت العائلة فاعتبرت مصدر هم وهي صغيرة، ومصدر قلق على عفتها حتى تتزوج وتنجب الأولاد وتستقر مع أهل زوجها.

و يجب التنويه إلى أن هذه الظاهرة عزل النساء وإنتاج الموانع الخاصة بالتحرك في المكان لا تنطبق على النساء المسنات، حيث تتوفر لهن حرية أكبر، ويلعبن دورا فاعلا ومحوريا في المحافظة واستمرارية على العادات والتقاليد. وحتى داخل بنية الأسرة، يقسم الفضاء فلا تأكل المرأة مع زوجها بل تقسم المائدة وتصبح مجنسة، مائدة الرجال ومائدة النساء، وغالبا ما تهمل هذه الثانية، عند حضور الضيوف.

و في مقابل قواعد الإلزامية والمنع يشترط لنجاحها ضرورة قواعد المراقبة، التي ترتبط بالرجل، الذي يخضع لقواعد وقوانين اجتماعية (واقعية - معنوية)، ولكنه لا ينصع للجنس الآخر باستثناء أمه، يظهر إذعان الرجل في جعل كل ما هو أنثوي في خدمة المجتمع الذكوري كآلية دفاعية وخدمة للنظام الاجتماعي.

**4. خاتمة:**

لقد عرفت الأسرة في الجزائر تحولات خلال القرن العشرين بفعل عدة عوامل، فبل الاستقلال وبعده، وبالرغم ما مس المجتمع الجزائري من تحديث لهياكله وبنيته التحتية، ومع ظهور للأسر المصغرة كأساس للتشكيلة الاجتماعية، الا أنها بقيت مرتبطة أشد الارتباط بالأسرة الممتدة.

وفي نفس السياق، فقد عرفت الأسرة مرحلة انتقالية، فقدت من خلالها الأنماط التقليدية في السلوك والعلاقات، أحدثت تصدع على المنظومة القيمية مما تسبب في أزمة هوية جراء التحولات الحاصلة.

و تبقى عملية بناء الذكورة والأنوثة داخل الأسرة الجزائرية تحتاج إلى طُقوس تنظيمية كطقوس الجهود épreuves، والتطهير purification حيث يتم ربطها بجنس الذكوري، باعتباره الجنس الأفضل والمفضل حسب نظام الكون، بشرعية سلطة الثقافة الأبوية والنصوص الدينية، لذلك يعتبر الختان كطقس مرور للذكورة، وأخيرا طُقوس التضحية (sacrifice) والتي كثيرا ما تكون ملازمة للنساء، مهما كانت مكانتها ووضعيتها الاجتماعية، وينبغي الاشارة الى أهمية المدة التنظيمية كبنية زمنية، لأنه يختلف سن بلوغ البنت عن سن بلوغ الولد في مرحلة المراهقة، ليس من الناحية البيولوجية فحسب، ولكن أيضا من الناحية النفسية والوجدانية.

وبالتالي هناك جملة من الاختلافات في عملية التنشئة الاجتماعية بين الولد والبنت، من خلال التعامل مع الجسد، مراقبة حركتهم، خصوصا البنت.

ان ثبات بعض الطقوس المنظمة لعلاقات النوع الاجتماعي، كإحدى آليات المحافظة على النظام الاجتماعي، كطقوس ولادة الذكر، التي تميزت بالظهور والإعلان فهو طُقس يلعب دور في ثبات قيمة مجتمعية والمتمثل في استمرارية الاسم العائلي. بينما طُقس الختان تستخدمه الأسرة الأبوية لبناء الذكورة. ويمكن الانتهاء إلى أن طُقوس الولادة تمثل قواعد أساسية منظمة للعلاقات بين الرجل والمرأة. ومن جهة أخرى نستنتج أيضا بوجود قواسم مشتركة ما بين الأجيال في أدوار وأحوال الرجل والمرأة، من خلال مقارنة الفاعل الاجتماعي بين مرحلتين بكري واليوم، ويرجع الفضل إلى الأسرة التي ساهمت في مأسسة ركائز الأبوية من خلال تجنيد جملة من الطقوس التي تحافظ على استمرارية معالم التراتبية ما بين الجنسين. وانطلاقا من هذا نستنتج أن تنظيم العلاقات بين الرجل والمرأة هي نتاج اجتماعي لما تقدمه الأسرة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

## 5. قائمة المراجع:

-أبو بكر أميمة وشيرين شكري، 2002، المرأة والجندر، التميز الثقافي والاجتماعي بين الجنسين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

-أجاسينسكي سيلفيان، 2011، سياسة الجنسين، (ترجمة: عز الدين الخطابي وزهور حوتي)، الطبعة الأولى، بيروت، روافد للنشر والتوزيع.

-جيدنز أنتوني، 2005، بمساعدة بيير دسال كارين، علم الاجتماع (مع مداخلات عربية)، (ترجمة وتقديم: الصياغ فايز)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، الطبعة الرابعة.

-شعيب علي وآخرون، 1998، المجتمع العربي الحديث والمعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الفارابي

-نعمان جسوس سمية، 2011، (ت: عبد الرحيم حزل)، بلا حشومة، الجنسانية النسائية في المغرب، الطبعة الثانية، دار البيضاء.

-محجوب محمد عبده، 2011، المرأة والقيم في المجتمعات العربية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعة.

-قرامي أمل، 2007، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، دراسة جندرية، بيروت، دار المدار الإسلامي.

**المراجع باللغة الأجنبية:**

-Belmont Nicole, (1971), les signes de la naissance, Paris, librairie plon,

-Bereni Laure, Chauvin Sébastien, Jaunait Alexandre, Revillard Anne, ( 2008), 1. introduction aux Gender Studies: Manuel des études sur le genre, éditions De Boeck

Bertrand Badie et Dominique Vidal, (2016), un monde d'inégalités , L'état du monde, paris, Ed la Découverte

-Carmel Cassar, (2005) ; L'honneur et la honte en Méditerranée, Paris, Ed usid,

-Charnay Jean Paul, (1965), La vie musulmane en Algérie, d'aprés la jurisprudence de la première moitié du X Xe siècle, Paris, press universitaire de France

-d'Eaubonne Fransoise, Sebbar Leila, (1998), les femmes du Maghreb, pp(207/217), in (S/D): Dayres Michèle, (2015), Femmes et violences dans le monde, Paris, Ed l'Harmattan

-Devulder. M,( 1957), Rituel magique des femmes kabyles, pp.299/362, Alger, en Revue Africaine, Volume: 101, année 1957, office des publications universitaires

-Durkheim Emile, (1912,1990), Les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, Ed PUF.

-Falquet Jules, (2015), Femmes- hommes, les écarts se creusent, pp.121-127, in (S/D):

-Froideveaux-Metterie Camille, (2015), La revolution feminine, Paris, Ed Gallimard

-Guy Rocher, (1968), Introduction a la sociologie generale, l'action sociale, Ed HMH, Paris

-Jeffrey Denis, (1998), jouissance de sacré, religion et post - modernité, Paris, Ed Armand colin.

-Lombard Jacques, (1997), L'introduction des religions, Paris, Ed L'Harmattan,

-Maisonneuve Jean, (1988), les conduites rituelles, paris, presse universitaires de France

-Rivière Claude, (1997), socio-Anthropologie des religions, Paris, Ed L'Harmattan,

-Tarot Camille,(2003), sociologie et l'anthropologie de Marcel Mauss, Paris, Ed La Découverte